-٩-

الشفاعة ميزانٌ من الغيب

الدكتور
سمير عمر سعيد
كلية الامام الاعظم الجامعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فإن اختيار موضوع الشفاعة له أسبابه الموضوعية، فإنها تدخل في صميم الصراع الفكري المعاصر، فقد تعالت اليوم أصوات نشاز في إخراج المسلمين من دائرة الإيمان ورميهم بالكفر والردة بمجرد التقصير بالعمل، في مقابل أصوات أخرى تستبيح المعصية وتستهين بالعمل ولا تبقي للإسلام معنى، وبين هؤلاء وهؤلاء حار المسلمون وطاشت سهامهم في تحديد طريق النجاة والخلاص .

وقد وجدنا أن عقيدة الشفاعة تحدد معنى المؤمن بأدنى درجاته صعودا الى كمال درجاته الإيمانية، وهذا التحديد الدقيق لمعنى المؤمن هو مفتاح عظيم لمعالجة باب التكفير، فحرمة دم المؤمن واحدة سواء كان في أعلى درجاته الإيمانية أوفي أدناها، وكذلك وجدنا أن الشفاعة تفتح أفاقا جديدة للتعامل مع الواقع على المستوى الفردي أو الجماعي، وبها يتوسع الضيق الذي خيم على عقول المسلمين لقرون، وتنحل بها القيود الجامدة الموروثة من الأعراف والتقاليد التي أصبحت كالدين الملزم، فاختل التوازن النفسي للفرد المسلم الغارق بمثاليات لا واقع لها، وكذلك للجماعات العاملة المشتتة بين المقاييس المثالية وما بين متطلبات الواقع الثقيل، فالشفاعة ترجعنا الى حقيقة عظيمة وهي أننا مجتمع بشري ولسنا بملائكة، فالأصل فينا الخطأوالنسيان، والمعصية قرينة لبني آدم ،(كل ابن آدم خطاء وخير

الخطائين التوابون)[١].

من هنا جاءت أهمية اختيار هذا الموضوع المفعم بالحياة .

وقد قسمت البحث بعد المقدمة والتمهيد على ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول بيان معنى الشفاعة وذكر أدلتها، والمبحث الثاني بينت فيه أثار عقيدة الشفاعة في الجانب العقائدي وقسمته على خمسة مطالب والمبحث الثالث جعلته في بيان أثار الشفاعة على الحياة العملية، ثم ختمت بخاتمة بينت فيها خلاصة ما توصلت إليه من نتائج .

وختاماً أسأل الله تعالى التوفيق في بيان الحق والهداية لسبيل الرشاد وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم البعث والنشور .

* * *

(١) الترمذي ٤/٦٥٩-رقم (٢٤٩٩)من حديث أنس، ثم قال :حديث غريب .

المبحث الأول

معنى الشفاعة وأدلتها

الشفاعة لغةً: الوسيلة والطلب، وهي من شفع يشفع شفاعة - بفتح العين - فهو شافع وشفيع، والشفاعة من الشفع ضد الوتر[١]. كأن المجرم كان فردا فجعله الشفيع زوجا،[٢] أي كأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له ،وعرفا :هي سؤال الخير للغير.

وإصطلاحا: سؤال الخير من الغير للغير .[٣]

⊙ **أدلة الشفاعة** :

الشفاعة ثابتة للرسل في حق أهل الكبائر بالمستفيض من الأخبار، فقد ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع .

⊙ **أما من الكتاب** :

١- فقوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[٤].

(١) (مختار الصحاح ١٦٤) (لسان العرب ج٨ص١٨٣) (هداية المريد لجوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني(١٠٤١ه) تحقيق السيخ محمد الخطيب، دار الكتب العلمية، ص٣٧٣).

(٢) (النبراس شرح شرح العقائد /لمولانا محمد عبد العزيز الفرهاري (١٢٣٩ه)، المكتبة الحبيبية، باكستان، بلا تاريخ ص٢٣٨).

(٣) (بدء الأماني، علي القاري ،ج١ص٦٣)(تحفة المريد، للشيخ إبراهيم بن محمد الشافعي البيجوري وهو شرح جوهرة التوحيد للعلامة برهان الدين اللقاني (ت١٠٤١هـ) ص٢٠٥).

(٤) (سورة الإسراء ٧٩).

وجه الدلالة فيها قال ابن حجر - رحمه الله -: (والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة) ثم قال: (والجمهور على أن المراد به الشفاعة، ثم نقل عن الواحدي نقله الإجماع على ذلك)[١]، وقال القرطبي - رحمه الله -: اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال :

الأول وهو أصحها :الشفاعة للناس يوم القيامة قاله حذيفة بن اليمان، ثم ذكر الثلاثة الأخرى..[٢].

٢- وكذلك قوله تعالى: (فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)[٣] ووجه الدلالة هو أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإستغفار لتقتدي به الأمة، (للمؤمنين والمؤمنات) أي لذنوبهم وهذا أمر بالشفاعة[٤].

٣- وكذلك قوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾[٥].

قال القرطبي: (وهذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قوما من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم، ثم شفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم)[٦].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري /لأحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ،دار المعرفة (١٩٦٩م)، ٨/ ٤٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١ه)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، (١٣٧٢ه)، ٢/١٠.

(٣) سورة محمد ١٩.

(٤) القرطبي ١٨٩/١٦.

(٥) المدثر ٤٨.

(٦) تفسير القرطبي ٦٦/١٩.

فإن أسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة، وإلا لما كان لنفي نفعها عن الكافرين معنى، لأن مثل هذا المقام يقتضي أن يوسموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم .

وأما من السنة الشريفة: فإن أحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها لورودها عن عشرين صحابيا أو تزيد، في الصحاح والسنن والمسانيد، وأما شواهدها بغير ألفاظها فقاربت خمسين حديثا[١].

⊙ **وهذه بعض الروايات من السنة الشريفة** :

١- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا)[٢]

ووجه الدلالة كما يقول الإمام النووي في قوله - صلى الله عليه وسلم -: (فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا) ففيه الدلالة لمذهب أهل الحق، أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار وإن كان مصرا على الكبائر[٣].

٢- عن أنس - رضي الله عنه - يقول: حدثنا محمد - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم - عليه السلام - فيقولون: أشفع لنا إلى ربك فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول

(١) إيثار الحق على الخالق في رد الخلافات إلى مذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد بن إبراهيم بن علي المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي المعروف بابن الوزير (ت٨٤٠هـ)، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٧م)،ص ٢٩٥.

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير باب يا رب أمتي: ج٤/١٧٤٦رقم (٤٤٣٥)، وج٦/٢٧٢٧رقم (٧٠٧٧٢) (صحيح مسلم كتاب الإيمان /باب أدنى أهل الجنة منزلة :ج١/١٨٣رقم ١٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا محي الدين شرف بن مري النووي (٦٧٦ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٣٩٢ه)، (ج٣/٧٥).

لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فيأتون فيقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقول: يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول يارب أمتي أمتي، فيقول: فانطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا: فيقال: يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول: فانطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردله من إيمان فأخرجه، فانطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقول: يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب إئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)[1].

فهذه ثلاث شفاعات للنبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث، وكل شفاعة نالت طبقة من طبقات المقصرين من أمته، وكل طبقة هي دون التي تليها بالمنزلة، وأخيرا يستأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الشفاعة الرابعة وهي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقسم الله جل جلاله بعزته وجلاله وكبريائه وعظمته على إخراجهم منها ،وهؤلاء ليس

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، باب يارب أمتي :ج٤/١٧٤٦رقم (٤٤٣٥)، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ج٦/٢٧٢٧رقم (٧٠٧٢):وج١١/٤١٧)(صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة :ج١/١٨٣رقم (١٩٣).

لهم إلا كلمة التوحيد، وهؤلاء من خلال النص هم أدنى من الدرجة التي سبقتها والتي قال فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - (من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان)، فهؤلاء ليس لهم إلا كلمة التوحيد وقد نالتهم شفاعة أرحم الراحمين، وهؤلاء من يسمون عتقاء الرحمن، والحديث القادم سيفصل الكلام فيهم .

٣- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا، فو الذي نفسي بيده ما مجادلة أحدكم لصاحبهفي الحق يكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين ادخلوا النار، قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا، ويجاهدون معنا فأدخلتهم النار ! قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، فيأتون فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم، لم تغش الوجه، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته الى كعبيه، فيخرجون منها بشرا كثيرا فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ثم يعودون فيتكلمون، فيقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، يقول: ارجعوا، فمن كان في قلبه وزن نصف دينار، فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا حتى يقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة، فيخرجون خلقا كثيرا،قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه الآية: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾[١].

قال: فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، فلم يبق في النار أحد فيه خير !، قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة، وشفعت الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين، قال:

(١) سورة النساء ٤٠.

فيقبض قبضة من النار، أو قال قبضتين ناسا لم يعملوا خيرا قط، قد احترقوا حتى صاروا حمما، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها الى جانب الصخرة، والى جانب الشجرة، فما كان الى الشمس منها أخضر، وما كان منها الى الظل كان أبيض، قال: فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، وفي أعناقهم الخاتم، عتقاء الرحمن، قال: فيقال لهم: أدخلوا الجنة، فما تمنيتم ورأيتم فهو لكم ومثله معه فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، قال: فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين !قال: فيقول: فإن لكم عندي أفضل من ذلك ؟ فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ قال: فيقول: رضائي عنكم، فلا أسخط عليكم أبدأ)[١].

هذا الحديث يعد أصلا في بابه، وبقية أحاديث الباب أشبه ما تكون تأكيدا لمفرداته الشاملة، ولا سيما في بيان طبقات المشمولين بالشفاعة وعلى الأخص طبقة العتقاء الذين لم يزيدوا على كلمة التوحيد شيئا ولم يعملوا خيرا قط.

يقول الشيخ الألباني - رحمه الله -: (في هذا الحديث فوائد جمة عظيمة، منها شفاعة المؤمنين الصالحين في إخوانهم المصلين الذين دخلوا النار بذنوبهم، ثم بغيرهم ممن هو دونهم على اختلاف قوة إيمانهم، ثم يتفضل الله تبارك وتعالى على من بقي في النار من المؤمنين فيخرجهم من النار بغير عمل عملوه ولا خير قدموه)[٢]، ثم فصل في بيان ذلك فقال: (أن المؤمنين لما شفعهم الله في إخوانهم المصلين والصائمين وغيرهم في المرة الأولى فأخرجوهم من النار بالعلامة، فلما شفعوا في المرات الأخرى أخرجوا بشرا كثيرا،

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب ٱثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ج١/١٧٠رقم (١٨٣)، هذه الرواية أصل ولها موافقات وشواهد كثيرة، قد جمع الشيخ الألباني أهمها وخرجها في كتابة: حكم تارك الصلاة ص٣٠.

(٢) حكم تارك الصلاة، الألباني (١٤٢٠ه)، دار الجلالين، الرياض، ط١ ص٣١.

لم يكن فيهم مصلون بداهة، وإنما فيهم من الخير كل حسب إيمانه، وهذا ظاهر جدا لا يخفى على أحد إن شاء الله .)[١]ثم قال: وعلى ذلك فالحديث دليل قاطع على أن تارك الصلاة إذا مات مسلما يشهد أن لا إله إلا الله: أنه لا يخلد في النار مع المشركين، ففيه دليل قوي جدا أنه داخل تحت مشيئة الله تعالى في قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٢][٣]. ولا يخفى أن حكم تارك الصلاة كسلا هي من أخطر القضايا المعاصرة، ويمكن أن تكون مفتاحا لحل الأزمة العقائدية في مسألة مسمى الإيمان، حيث مدار مسمى الإيمان على العمل، والصلاة بلا خلاف هي من أعظم الأعمال، وقد تنبه لهذا الشيخ الألباني عند وقفته مع الحديث السابق فقال: (فهذا نص قاطع في المسألة ينبغي به أن يزول النزاع في هذه المسألة بين أهل العلم الذين تجمعهم العقيدة الواحدة التي فيها عدم تكفير أهل الكبائر من الأمة المحمدية، وبخاصة في هذا الزمان الذي توسع فيه بعض المنتمين الى العلم في تكفير المسلمين لإهمالهم القيام بما يجب عليهم عمله، مع سلامة عقيدتهم، خلافا للكفار الذين لا يصلون تدينا وعقيدة، والله تعالى يقول: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون)[٤][٥].

وهذا القول منه - رحمه الله - في منتهى الاتزان والإنصاف والعدل، فقد حاول أن يحسم أمرا طالما اختلف فيه السلف قديما وحديثا، وهو حكم تارك الصلاة، وحسم هذا الأمر مفتاح لحسم كل المتعلقات الأخرى .

(١) نفس المصدر ص٣٢.
(٢) سورة النساء ٤٨.
(٣) حكم تارك الصلاة ص٣١.
(٤) سورة القلم ٣٥-٣٦.
(٥) حكم تارك الصلاة ٣١.

٤- عن حماد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار: أسمعت جابر بن عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يُخرجُ قوما من النار بالشفاعة، قال: نعم[١].

وهذا نص في أن قوما يخرجون من النار بعد دخولها بالشفاعة[٢].

٥- عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد الحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدث القوم، جالس إلى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ماهذا الذي تحدثون ؟ والله يقول: (إنك من تدخل النار فقد أخزيته)[٣]، و(كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها)[٤] فما هذا تقولون؟ قال: فقال أتقرأ القرآن ؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يُخرجُ الله به من يُخرج .[٥]

٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا.[٦]

وجه الدلالة: أنه صلى الله عليه وسلم أول من يشفع، وبه تفتح باب الشفاعة، حيث أنه يفتح باب الشفاعة لغيره .[٧]

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج٣/ص٤٩.

(٣) سورة آل عمران ١٩٢.

(٤) سورة السجدة ٢٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان ،باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من يشفع.

(٧) تحفة المريد ص٢٠٥.

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[١]، سُئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هي الشفاعة .[٢] وهذا بلا شك نص من النبي صلى الله عليه وسلم في بيان معنى المقام المحمود.

٨- عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مجلس فقال: (تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفى منكم فأجره الى الله، ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه)[٣]. وهذا نص بالمشيئة وشمولها لمن أصاب المعاصي المذكورة في النص وغيرها، ومن دخل في مشيئة الله تعالى فهو بإذن الله مشمول بعفوه تعالى، وعفوه هو شفاعته جل جلاله .

٩- وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (.... وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال: لا تبشروهم فيتكلوا)[٤].

١٠-وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعاذ بن جبل - رضي الله عنه - رديفه على الرحل، فقال: (يامعاذ، قال: لبيك رسول الله وسعديك ثلاث مرات قال: من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله

(١) سورة الإسراء ٧٩.

(٢) قال الترمذي حديث حسن صحيح كتاب التفسير باب سورة بني إسرائيل، وقد صححه الألباني في صحيح الترمذي (٧٦٢١)، (أحمد ج٢/٤٤٤).

(٣) متفق عليه البخاري ٦/٢٦٣٧رقم (٦٧٨٧)(مسلم ٣/١٣٣٣رقم (١٧٠١).

(٤) البخاري ٣/١٠٤٩رقم (٢٧٠١)(مسلم ١/٥٨رقم (٣٠).

على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ فقال إذا يتكلوا)[١] فأخبر بها معاذ - رضي الله عنه - عند موته تأثما .

١١-وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)[٢] فوزن شعيرة من خير أو بر أو ذرة، تدل على تفاوت الإيمان عندهم بحسب ما كان لهم من عمل، ولكن يجمعهم الاشتراك بقلة العمل، ورغم هذا القليل من العمل فهم يخرجون من النار بكلمة التوحيد، مع التأكيد على أن الذرة والبرة والشعيرة تدل على أقل القليل، في مقابل النصوص التي تذكر وتوصف الإيمان بأنه كجبال تهامة[٣].

١٢-وعن عتبان بن مالك - رضي الله عنه - في حديث طويل ...(فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[٤].

١٣-وعن جابر- رضي الله عنه -قال: جاء أعرابي الى النبي -صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ما الموجبتان ؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئا دخل النار)[٥].

١٤-وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن

(١) البخاري ١:٥٩رقم (١٢٨).

(٢) البخاري ١/٢٤رقم (٤٤).

(٣) الزهد وصفة الزاهدين لأبي سعيد أحمد بن درهم (ت٣٤٠)تحقيق مجدي فتحي السيد . دار الصحابة للتراث طنطا ط١ ص ٦٩رقم(١٣١).

(٤) متفق عليه ،(البخاري ١/٤٣٦، ٤٣٣)(مسلم ١/٤٥٥).

(٥) صحيح مسلم ٩٣

عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)، وعند مسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار)[١].

١٥-وعن أبي ذر- رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة، فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا، تقربت منه ذراعا، ومن تقربمني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا، لقيته بمثلها مغفرة)[٢]

⊙ **خلاصة لأحاديث الشفاعة** :

١- إن الشفاعة حق وأحاديثها متواترة، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

٢- إن الشفاعة تكون من المؤمنين والنبيين ثم أخيرا من أحكم الحاكمين .

٣- أهل الشفاعة درجات منهم أصحاب كبائر استوجبت دخولهم النار مع كونهم من أهل الصلاة والصيام والجهاد، وهؤلاء من الطبقة الأولى، والثانية دونهم درجة وهكذا الثالثة، وأخيرا الطبقة الرابعة وهؤلاء ليس لهم من عمل صالح ولم يفعلوا خيرا قط إلا قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله مخلصين بها بقلوبهم، وهؤلاء المعروفون عند أهل الجنة بعتقاء الرحمن .

٤- أهل الطبقة الأولى وهم أهل صلاة وصيام وجهاد ومع ذلك هم معذبون بنار جهنم ولولا الشفاعة لخلدوا في النار، وهؤلاء حجة على أهل الإرجاء الزاعمين أن صاحب الكبيرة كامل الإيمان لا تضره المعصية في الآخرة .

(١) متفق عليه، (صحيح البخاري ٣٤٢/٦)(صحيح مسلم ٢٨).
(٢) صحيح مسلم ٢٦٨٧.

٥- أهل الطبقة الرابعة وهم العتقاء - عتقاء الرحمن - هم حجة دامغة على المعتزلة والخوارج ومن سار على نهجهم، لأن أهل هذه الطبقة ليس لهم من عمل قط غير التوحيد ومع ذلك نالتهم الشفاعة فخرجوا بها من النار ودخلوا الجنة، فهذه الطبقة حجةعلى من جعل العمل ركنا أو شرطا للصحة في مسمى الإيمان، وهذا من أظهر وأقوى الحجج في رد ذلك .

٦- عتقاء الرحمن مؤمنون، لأن الجنة (لا يدخلها إلا مؤمن)[١] كما نص على ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهؤلاء العتقاء لم ينالوا اسم الإيمان إلا بكلمة التوحيد التي أقروا بها، ومن غير عمل أو طاعة كما صح في الحديث، وإن كانت هذه هي أقل درجات الإيمان، لكنها تنفع صاحبها فتخرجه من النار بعد أن دخلها وتدخله الجنة، وفي هذا دليل قوي على أن الأعمال ليست من مسمى الإيمان كركن أو شرط صحة، وهذا يؤيد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من جعلهم العمل شرط لكمال لإيمان .

٧- مفهوم الشفاعة حدد معنى المؤمن بأدنى درجاته صعودا الى كمال درجاته الإيمانية، وهذا التحديد الدقيق والشامل لمعنى المؤمن يستوجب شموله بحرمة الدم، والمال، والعرض ،مهما كانت درجته الإيمانية ، فحكم حرمة المؤمن حكم واحد سواء كان هذا المؤمن بأعلى درجات الإيمان أو أدناها .

٨- مفهوم الشفاعة بتحديده الدقيق لمفهوم الإيمان يكون قد ضيق مساحة التكفير، وهذا التضييق لمساحة التكفير هو تحجيم لموجب الخلاف في الأمة، وتوسيع لمساحة الائتلاف فيها، وتفتيح لأبواب الرحمة والمحبة بين العباد، وتغليق لأبواب النقمة والكره بينهم.

٩- مفهوم الشفاعة يزيل العقد النفسية والاجتماعية ويرجع التوازن النفسي للفرد

(١) سنن الترمذي ٤/٦٥٩رقم (٢٤٩٩)، من حديث أنس، قال أبو عيسى حديث غريب

المسلم الغارق بمطالبة الناس بمثاليات ملائكية لا واقع لها، وكذلك الجماعة المسلمة المشتتة بين المقاييس المثالية ومابين متطلبات الواقع الثقيل، فنحن مجتمع بشري ولسنا ملائكة، والأصل فينا الخطأ والنسيان، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[١].

١٠ - الشفاعة بمفهومها الشرعي هي أوسع من شمولها للعصاة فقط بل هي تشمل أهل اليمين والسابقين وغيرهم، فقد نقل ابن حجر - رحمه الله - عن النووي والقاضي عياض - رحمهم الله - قولهم: الشفاعة خمس: في الإراحة من هول الموقف، وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب، وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا، وفي إخراج من أدخل النار من العصاة، وفي رفع الدرجات، ثم ذكر الأدلة على ذلك.[٢]

⊙ **أما الإجماع** :

فقد تكاثرت الروايات وتواترت بالمعنى في ثبوت أحاديث الشفاعة حتى نقل جمع كبير من الأئمة ذلك التواتر منهم (الإمام البيهقي[٣]، والنووي[٤]، وابن الوزير[٥]، السيوطي[٦]، الزبيدي[٧]، والكتاني[٨]، وابن تيمية[٩]، وابن أبي العز شارح الطحاوية[١٠]....وغيرهم).

(١) ينظر فتح الباري ٤٨٢/٨.

(٢) الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨) تحقيق عبد العلي حامد الدار السلفية، الهند ط١:(١١٠/٢).

(٣) شرح صحيح مسلم: ٢١٧/١.

(٤) إيثار الحق ودليل الفالحين لطريق رياض الصالحين، محمد ابن علان٢٩٥.

(٥) قطف الأزهار، ص ٣٠٣.

(٦) لفظ اللألي المتناثرة ص ٧٥.

(٧) نظم المتواتر ص ٣٠١.

(٨) الإيمان الأوسط ص ٢٨

(٩) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٨.

(١٠) ايثار الحق ٢٨٦

يقول ابن الوزير - رحمه الله -: وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها لورودها عن عشرين صحابيا أو تزيد في الصحاح والسنن والمسانيد، وأما شواهدها بغير ألفاظها فقاربت خمسين حديثا، وهذا العدد يكفي لإثبات التواتر يالإتفاق، وكما يقول ابن الوزير نفسه: التواتر يحصل بهذا، بل بدون ذلك . ويقول ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: (فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملؤها أو ما يقارب - خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة)[١].

ويؤكد ذلك الإمام النووي - رحمه الله - بقوله: (وأعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف، أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال، فإذا كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلا، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به هو المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه، وأما من كانت معصيته كبيرة ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن لأحمد بن رجب الحنبلي، (ت ٧٥٠)، دار المعرفة، بيروت، ٣٧٤).

الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل)[١].

ثم قال رحمه الله: هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت نصوص يحصل بها العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة لها وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع .[٢] ثم قال رادا على احتجاج المرجئة بمثل هذه الأحاديث بقوله: فأما المرجئة فإن احتجت بظاهره، قلنا محمله على أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ثم أدخل الجنة، فيكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم (... دخل الجنة) أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب .[٣]

* * *

(١) شرح صحيح مسلم: ١/٢١٧.
(٢) نفس المصدر: ١/٢١٧.
(٣) نفس المصدر ١/٢٠٩.

المبحث الثاني

بعض أثار الشفاعة في الجانب العقائدي

مفهوم الشفاعة لها أثار مباشرة وفاعلة على بعض المفردات العقائدية المهمة والخطيرة وسنختصر ذلك في أربعة مطالب :

⊙ **المطلب الأول: أثر الشفاعة في تحديد معنى المؤمن .**

تحديد معنى المؤمن هو الركيزة الأساسية في حسم موضوع مسمى الإيمان، وهو المسمى الأخطر في أبواب العقيدة، فعليه تبنى منطلقات التكفير كافة، من هنا جاءت أهمية بيان هذا الأثر في تدعيم عقيدة أهل السنة والجماعة .

فقد بينت أحاديث الشفاعة المفهوم العام للمؤمن من خلال تفصيلها في بيان حقيقة الداخلين للجنة، فمن دخل الجنة فهو مؤمن بنص حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا يدخلها إلا مؤمن)[١]، وكذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ...)[٢]، فكل الداخلين الى الجنة بمختلف درجاتهم هم مؤمنون .

أما في الدرجات العلى فهم السابقون السابقون وهؤلاء لا خلاف في فضلهم وسموهم، وهكذا من دونهم دراجات، ومدار الاحتجاج في الحقيقة تدور في من جاء في الدرجات

(١) صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق ٨٠٠/٢ رقم (١١٤٢).
(٢) متفق عليه، صحيح البخاري ٣٣٥/١١) (صحيح مسلم ٢٢١و٣٧٦و٣٧٧.

الأخيرة، لاسيما في آخر الناس دخولا الى الجنة، وهم عتقاء الرحمن، فهؤلاء عليهم مدار الاحتجاج في هذا الباب المهم . وقد تقدم ذكر الأحاديث المفصلة لحقيقة العتقاء فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يخبر عن الله تعالى قوله: (شفعت الملائكة، وشفعت الأنبياء وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين، قال فيقبض قبضة من النار، أو قبضتين، ناسا لم يعملوا خيرا قط، وقد احترقوا حتى صاروا حمما، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... قال: فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، وفي أعناقهم الخاتم، عتقاء الرحمن، قال: فيقال لهم: أدخلوا الجنة، فما تمنيتم ورأيتم من شيئ فهو لكم ومثله معه، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، قال: فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ! قال: فيقول: فإن لكم عندي أفضل من ذلك ؟ فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك ؟ قال: فيقول: رضائي عنكم، فلا أسخط عليكم أبدا)[1]، وفي حديث الشفاعة المشهور عندما ماج الناس وطلبوا من يشفع لهم عند الله تعالىوانتهت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد اعتذار كل الرسل - عليهم السلام - فيقول: أنا لها ثم يقول يا رب أمتي أمتي ثم يشفع في أمته - صلى الله عليه وسلم - ثلاث شفاعات وفي الرابعة يقول: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب إئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)[2]. فهذا نص صحيح صريح حاسم في المسألة، ولا يغيب عن أهل التخصص الشرعي أن هذه المسألة من المسائل التي لا سبيل الى إثباتها إلا بالسمع، كبقية الأمور الغيبية التي

(١) صحيح مسلم ١/١٧٠رقم(١٨٣)كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه)(ينظر حكم تارك الصلاة للشيخ الألباني ص٣٠.

(٢) صحيح البخاري ٤/١٧٤٦رقم ٤٤٣٥)(صحيح مسلم ١/١٨٣رقم ١٩٣).

تدخل ضمن السمعيات، وقد جاء النص الصحيح الصريح والمدعوم بروايات متواترة تواترا معنويا، كما بينا سابقا .

من هنا نقول أن المؤمن يشمل كل من يدخل الجنة سواء كان دخوله ابتداء كالسابقين السابقين أو ممن تأخروا في دخولها لاسيما عتقاء الرحمن وهم أواخر الداخلين للجنة، وعلى هذا تثبت حقوق المؤمن لكل الداخلين في الجنة .

وأهم هذه الحقوق وأخطرها - وهي مدار البحثهنا - حرمة دم المؤمن في الأحكام الدنيوية، وهذا الحكم هو مدار الاختلاف مع كل موجات التكفير في الأمة مثل(الخوارج وجماعات التكفير والهجرة ومن سار على دربهم)، فقد استباحتهذه الموجات دماء المؤمنين انطلاقا من التحديد الخاطئ لمعنى المؤمن، فقد تواطأت أقوالهم في تعريفهم للمؤمن بأنه من جمع بين (القول، والعمل، والتصديق)، على وجه الركنية أو شرطية الصحة، أي (ركنية القول، وركنية العمل، وركنية التصديق) لمسمى الإيمان، أو أن العمل شرط صحة للإيمان، وهذا يبنى عليه: أن من ترك الركن أو الشرط فقد انهدم إيمانه، وبانهدام الإيمان فما بقي إلا الكفر والردة، ومن ارتد وكفر فقد استبيح دمه، وبهذا التأصيل المشوه كفروا الخليفة الراشد الرابع المبشر بالجنة ومن معه من الصحابة الكرام، بل وقتلوه أخيرا واستباحوا الأمة من بعده، وإلى يومنا هذا تستباح الأمة بأسرها تحت مظلة هذا المسمى الخطير .

⊙ **المطلب الثاني: الشفاعة ومسمى الإيمان** .

مذهب أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان هو :أن الإيمان: (قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجنان) فهذا التعريف هو خلاصة لتعريفات الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف عموما قالوا به[1]، لكن الخلاف الحقيقي بين المذاهب الإسلامية يكمن في تحديد

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة :١٠٢٣/٥-١٠٣٠و٩٣٢/٤)((شرح صحيح البخاري لابن بطال:٥٦/١) (شرح السنة ٣٨/١) (شرح انووي على مسلم :١٤٦/١)(فتح الباري ٤٧/١) (شرح العقيدة الطحاوية :٤٥٩/٢).

طبيعة علاقة هذه المفردات مع بعضها البعض في تشكيل معنى الإيمان، فقد ذهب الخوارج والمعتزلة إلى القول بركنية هذهالمفردات مع بعضها لتحديد معنى الإيمان[١]، وذهبت مجموعات التكفير والهجرة المعاصرة إلى أن العمل هو شرط صحة للإيمان . ولا يخفى أن القول بركنية العمل أو شرطيته للصحة مؤداهما واحد، فتارك الركن أو الشرط كلاهما محبط للعمل، ومن هنا فإن التكفير لازم لمن جعل العمل ركنا أو شرطا للصحة.

أما أهل السنة والجماعة فقد فصلوا بطبيعة ارتباط هذه المفردات الثلاثة في تحقيق معنى الإيمان فقالوا:

١- إن الإيمان هو التصديق، أي أنهم قالوا بركنية التصديق كركن أصيل ووحيد[٢].

أي أن التصديق هو الأصل في مدار الإيمان ،وبه يعرف المؤمن من المنافق .

٢- أما القول - وهو النطق بالشهادة -

فقد ذهبوا إلى عدة توجهات :

فمنهم من قال: أن الإقرار شطر الإيمان .

ومنهم من قال: أن الإقرار هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية عليه .

ومنهم من قال :أن الإقرار هو شرط للصحة[٣]، وهو الأرجح في مقابل من قال بركنيته أو شرطيته للكمال .

٣- أما العمل - وهو العمل بأركان الدين وما فرض من أعمال الجوارح -

(١) النظام الفريد:٢٤٩) (شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار:٧٠٧) (المسامرة في شرح المسايرة :١٧٤) (الملل والنحل للشهرستاني :١١٤).

(٢) شرح العقيدة النسفية :١٤٩) (شرح جوهرة التوحيد:٧٤) (حاشية الباجوري:٤٣).

(٣) شرح الفقه الأكبر ص٦٩) (المواقف:٣٨٤) (أم البراهين ،لأبي عبد الله السنوسي ،مطبوع مع حاشية الدسوقي :٥٥) ((ثرح العقيدة الطحاوية ٣٣٣).

فهو شرط كمال[١]، أو ركن كمال عندهم .

ومن هنا كان عند أهل السنة والجماعة (كمال الإيمان، وزيادته ونقصانه) مداره على العمل، فأعلى مقامات الجنة للسابقين السابقين في العمل مع التصديق، وأدنى درجاتها لمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله بصدق من غير عمل ولا طاعة قط، لكن دخلالجنة بشفاعة الله تعالى ورحمته بعد أن عذب في النار وأصبح حمما. فأصبح مفهوم الإيمان عند أهل السنة هو: التصديق المعهود شرعا والمبني على شرطي الإقرار والعمل[٢].

(والمقصود بالتصديق المعهود شرعا: وهو: تصديق النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل ما جاء به، وعلم من الدين بالضرورة .[٣] إذا الإيمان هو التصديق القلبي والذي يجب أن يكون معه الإقرار بالتوحيد نطقا والالتزام بالعمل إجمالا . هذا باختصار شديد خلاصة لرأي أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان .

وأبرز وأهم ما في هذا التأصيل هو تحديد علاقة العمل بالإيمان، فقد جعلوها علاقة شرطية للكمال، أي أن العمل شرط كمال للإيمان .

⊙ **وهذا تأصيل دقيق يتوافق مع إجماع الأمة بعدة أمور** :

١- إجماعهم على عدم تكفير صاحب الكبيرة .

٢- إجماعهم باعتقاد الشفاعة لأصحاب الكبائر .

٣- ويتوافق مع فعل الأمة وإجماعهم العملي عبر أجيالها بالصلاة على العصاة من

(١) فتح الباري :٥٩/١) (شرح جوهرة التوحيد :٥٥)(حاشية الأمير على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة :٥٧).

(٢) ينظر(النظام الفريد ٤٨) (شرح جوهرة التوحيد :٥٧) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨٤٩/٤) (شرح العقائد النسفية ١٤٩) (حاشية الباجوري٤٣).

(٣) شرح الفقه الأكبر ص٦٩) (فتح الباري :٦٠/١) (شرح العقائد النسفية :١٤٩) (شرح جوهرة التوحيد :٤٧) (حاشية الباجوري :٤٧).

المؤمنين ودفنهم بمقابر المسلمين والدعاء لهم .

وعلى هذا فإن الإخلال بالعمل لا ينقض أصل الإيمان، بل ينقصه بقدر معين حسب المعصية، ما لم تستباح المعصية أو يظهر دلائل الكفر، وهذا هو منتهى الاعتدال والاتزان والله أعلم .

⊙ **المطلب الثالث: الشفاعة والخوارج .**

قال الخوارج بركنية العمل في مسمى الإيمان كما بينا آنفا، محتجين بجملة من النصوص الشرعية التي تدل بظاهرها على أهمية العمل وتوقف الإيمان عليه ،وهذا معناه أن المقصر بالعمل قد أحبط إيمانه وكفر، وإن كان مقرا بالشهادة ومصدقا بقلبه، فترك الركن الواحد محبط للشيء وإن وجدت بقية الأركان الأخرى .

يقول البغدادي: (وقالت الخوارج: كل من ارتكب ذنبا فهو كافر، ثم افترقوا بينهم فزعمت الازارقة منهم أنه كافر مشرك بالله، وقالت النجدات منهم أنه كافر بنعمة وليس بمشرك)[١].

وقال الكمال بن الهمام: (أن مسمى الإيمان تصديق القلب، والإقرار باللسان، وعمل سائر الجوارح، فماهيته على هذا مركبة من أمور ثلاثة: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، فمن أخل بشيء منها فهو كافر، وهذا هو قول الخوارج، ولذا كفروا بالذنب، وقالوا: إن مرتكبه مطلقا كافر لانتفاء جزء الماهية)[٢].

ويقول أبو الحسن البسيوي: (الإيمان هو التصديق بالطاعة والعمل بها، فمن ترك شيئا منذلك، أو ركب ما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجبه الله عليه، خرج من الإيمان ولحق

(١) أصول الدين، للبغدادي :٢٤٩.

(٢) المسامرة في شرح المسايرة :١٧٤.

بضده، فافهم ذلك إن شاء الله لأن ضد الإيمان هو الكفر)[١].

ويؤكد الإمام الأشعري ذلك بقوله: (خلاصة قول الخوارج في الإيمان: هو مجموع الطاعات مع ترك الكبائر، أي عندهم الإيمان هو القول، والتصديق، وأداء مجموع الطاعات وترك الكبائر)[٢].

⊙ **الرد على الخوارج** :

١- فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع العصاة وأصحاب الكبائر، فما وجدناه-صلى الله عليه وسلم - كفر أحدا منهم أبدا، وفعله -صلى الله عليه وسلم - حجة على الأمة .

٢- الآيات والأحاديث المتعلقة بالحدود، فقد ذكرت هذه النصوص حدودا معينة لبعض المعاصي (كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر.....) فلو كانت المعاصي كلها كفر لما جاز هذا التنوع في الحدود .

٣- وجود المنافقين في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة دامغة على الخوارج، فالنبي -صلى الله عليه وسلم - لم يكفر أو يقتل أحدا من المنافقين، مع تلبسهم بأكبر الكبائر، من الطعن بالله تعالى ورسوله وبكتابه .....

٤- إجماع السلف على عدم التكفير بالكبيرة .

٥- أحاديث ونصوص الشفاعة حجة دامغة على الخوارج، فهي ظاهرة الدلالة على نجاة أهل الكبائر من النار وعدم خلودهم فيها، وهذه الأحاديث تصب في صميم الخلاف مع الخوارج، لاسيما نصوص العتقاء - عتقاء الرحمن - فهم بالنص يدخلون الجنة بغير عمل عملوه أو خير قدموه، إنما دخلوها بنطقهم الشهادة بصدق فقط، ولهذا اندفع الخوارج لإنكار الشفاعة وتأويلها بما يعطل معناها الشرعي .

(١) جامع أبي الحسن البسيوي :١/٢٣٥.

(٢) (مقالات الإسلاميين :١٢) (الفرق بين الفرق :٢٥).

هذه المحاور الخمسة كفيلة بالرد الحاسم على كل ادعاءات الخوارج القديمة، وكذلك لموجات التكفير المعاصرة لخوارج العصر، فكل هؤلاء يشتركون بهذاالمعتقد القاتل، وهو اعتبار العمل ركنا للإيمان أو شرطا للصحة، ويصح لنا اعتبار هذه القضيةالأساس الوحيد للتكفير، فهي الحجر الأساس فيه، وعدم فهم هذه الحقيقة بوضوح هو الذي أردى الأمة ومكن حملة التكفير من رقاب أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -ولاسيما في هذا الزمن الصعب .

⊙ **المطلب الرابع: الشفاعة والإرجاء** .

المرجئة فرق كثيرة عدها الأشعري والملطي اثنتي عشرة فرقة، منهم مرجئة خالصة ومنهم من يجمع مع الإرجاء بدعة أخرى كالجبر والقدر ونحو ذلك، ويجمعهم: القول بإخراج العمل عن مسمى الإيمان(١).

وهذا هو الأصل في التسمية الآن، مع بيان أن معنى إخراجهم العمل عن مسمى الإيمان هو الإخراج الكلي، أي أنهم يقطعون إي صلة للعمل بالإيمان. هذا من جانب ومن جانب آخر فإن المرجئة كذلك لا يقولون: بالتصديق المعهود شرعا، إنما يقولون بمطلق المعرفة القلبية، وعلى هذا فإن الإرجاء المحض يشمل طائفتين اثنين حصرا وهما (الكرامية، والجهمية)، وهذا ما سنبينه في هذا المطلب .

أ- الكرامية: وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني (ت ٢٥٥هـ)(٢).

والإيمان عندهم هو: (الإقرار باللسان فقط، دون التصديق بالقلب ودون سائر

(١) مقالات الإسلاميين: ١٣٣) (والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي: ١٤٦) (الفرق بين الفرق: ٢٠٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء: ٥٢٤/١١).

الأعمال)[١]، وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفهم الإيمان بقوله: وقالت الكرامية: هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، ثم يقول: لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار، وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته، ولم يسبقها أحد إلى هذا القول، وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان)[٢]، وينقل العلامة محمد محي الدين عن الكرامية تعريفهم للإيمان بقوله: (إن الإيمان هو إقرار اللسان بالشهادتين لا غير)[٣].

وواضح من خلال هذه النقول المختصرة أن الكرامية لم يعتبروا التصديق والعمل ضمن ماهية الإيمان، بل اكتفوا بالإقرار فقط لا غير، ولا أدري كيف سوغت لهم عقولهم ذلك الانحراف والتعطيل لدين الله تعالى، فكيف يمكن أن نتخيل دينا لا عمل فيه ولا تصديق؟ فهذا فيه خراب الظاهر والباطن! لهذا حكم الإمام القرطبي عليهم بالفساد بقوله: (بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان وهذا باطل قطعا)[٤].

⊙ **ما يترتب على تعريف الكرامية للإيمان** :

١- الاكتفاء بالنطق كعلامة وحيدة لصحة الإيمان وهو تعطيل للشريعة وقتل لكل خصائصها، بل هو اختزال الشريعة بلفظة لسان، ومع مكانة وعظمة هذه اللفظة إلا أن الدين أوسع من أن يختزل بشيء .

(١) الملل والنحل: ١/١٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٣/٥٦.

(٣) النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، تأليف الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢ (١٣٧٥ه- ١٩٥٥م) وهو مطبوع مع إتحاف المريد بجوهرة التوحيد: ٤٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ١/ ١٢٣.

٢- مدار النجاة في الدنيا والآخرة عندما يُعلق على كلمة تلفظ باللسان فقط ومن غير اقتران بالتصديق القلبي والعمل، لهو عبث وضلال، ولو جاز ذلك لتستر به كل الكفار والمشركين ولما استوجب القتال الذي خاضوه .

٣- تعطيل العمل هو قتل للشريعة وإطفاء لنورها وإخماد لكل أثار الإيمان العملية، وإبعاد وتسفيهلكل القيم والفضائل، وهذا يؤدي إلى فوضى اجتماعية واستباحة عارمة لكل الفضائل والقيم الإنسانية، وهذا يتناقض مع بديهيات الإسلام بل مع كل معنى إنساني .

⊙ **الرد عليهم** :

١- الآيات والأحاديث التي يحتجون بها هي إخبارات شرعية صحيحة وهي بلا شك تدل على فضل الإقرار والنطق بالتوحيد، فهذا مما لا يختلف فيه أحد، ولكن هذه النصوص ليست في مدار بحثنا، فمدار البحث في كفاية هذه الكلمة للنجاة، لاسيما عندما لا تقترن بالتصديق القلبي أو التزام العمل الشرعي، بل ربما تقترن بعلامات التكذيب، فهذا هو مدار البحث في المسمى، أما فضائل كلمة التوحيد ونفعها لصاحبها فهذا مما لا يختلف فيه اثنان .

٢- إجماع الأمة على اعتبار التصديق القلبي هو الأصل في الإيمان، سواء أضفنا إليه العمل والقول كأركان أو شروط للصحة أو للكمال أو لا، وهذا ما عليه (الأشاعرة، والماتريدية، وأهل الحديث، والحنابلة، والمعتزلة، والخوارج، بل وحتى المرجئة)، فإسقاط التصديق يتعارض مع إجماع الأمة المستند إلى نصوص قاطعة ومتواترة، وهو مما عرف من الدين بالضرورة .

٣- النصوص الكثيرة المقابلة لما احتجوا به ما حكمها ؟ أتعطل أم ماذا ؟ ولاسيما التي كانت في مدار البحث مثل قوله تعالى: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا

ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)[١] وكذلك قوله تعالى: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)[٢]، فهذه الآيات وغيرها صريحة بالرد على الزاعمين بأن النطق يكفي في مسمى الإيمان .

٤- التصديق القلبي هو الفارق الوحيد بين المؤمنين وأهل النفاق، فإسقاط التصديق هو إسقاط للمعنى الحقيقي للإيمان .

ب- الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان (ت ١٢٨ه)، أو ممن تأثر به بقضية مسمى الإيمان، وهؤلاء يعتقدون أن الإيمان هو المعرفة المجردة، أو مطلق المعرفة ،

يقول البغدادي: (وزعمت الجهمية أن الإيمان هو المعرفة وحدها)[٣]، وفصل الشهرستاني معتقدهم بقوله: (من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده، لأن العلم والمعرفة لا يزول بالجحد، فهو مؤمن)[٤]، ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام: (وزعمت هذه الفرقة أن الله رضي عنهم بالمعرفة)[٥]، ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك المعتقد عنهم بقوله: (إن الإيمان عندهم هو المعرفة القلبية المجردة، ثم يبين معنى هذه المعرفة بقوله: إنها مجرد معرفة قلبية أنه رسول الله، مع الإعراض عن الانقياد له ولما جاء به، إما حسدا، وإما كبرا، وإما لمحبة دينه الذي خالفه، وإما لغير ذلك)[٦].

فخلاصة مسمى الأيمان عندهم: هي المعرفة القلبية المجردة، من غير إقرار أو عمل أو تصديق، وعلى هذا يثبت عقد الإيمان عندهم بمجرد حصول هذه المعرفة المجردة من

(١) المائدة ٤١.
(٢) الحجرات ١٤.
(٣) أصول الدين للبغدادي: ٢٤٩.
(٤) الملل والنحل: ١/١١١.
(٥) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤ه)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بلا تاريخ: ٢٠.
(٦) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٩٧.

التصديق . وهذه المعرفة الخالية من التصديق والتي لا تستوجب الإذعان والانقياد والإتباع والمحبة والتعظيم هي ما يعرف به الجهمية الإيمان، مع عدم اعتدادهم بالنطق والعمل أصلا، لهذا شدد عليهم جمهور الأمة وشنعوا عليهم، فيقول أبو عبيد: (ثم حدثت فرقة ثالثة شذت عن الطائفتين جميعا، ليسوا من أهل العلم ولا الدين فقالوا: الإيمان معرفة الله بالقلوب فقط، وإن لم يكن هناك قول أو عمل، وهذا منسلخ عندنا من قول أهل الملة الحنيفية لمعارضته لكلام الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بالرد والتكذيب)[١].

والحقيقة أن جمهور أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والظاهرية وأهل الحديث كلهم قال بالتصديق المعهود شرعا وهو: تصديق النبي - صلى الله عليه وسلم -في كل ما جاء به، وعلم من الدين بالضرورة[٢]، والمراد بتصديق النبي - صلى الله عليه وسلم - هو: الإذعان لما جاء به، والقبول به، والإتباع له، وليس المراد بالتصديق فقط وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين يعرفون حقيقة نبوته ورسالته - صلى الله عليه وسلم- ومصداق ذلك قوله تعالى:{يعرفونه كما يعرفون أبناءهم}[٣]. فقال عبد الله بن سلام - رضي الله عنه -: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني معرفتي بمحمد - صلى الله عليه وسلم - أشد[٤]، وهذا حال كثير من اليهود

(١) (الإيمان لأبي عبيد: ٢٠).

(٢) (فتح الباري: ١/٦٠) ((شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين بن مسعود التفتازاني (٧٩١ه)على متن العقائد النسفية للشيخ نجم الدين أبي حفص عمر بن محمدالنسفي (٥٣٧ه)، الطابع والناشر شركة عثمانية ،:١٤٩) (شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان ،شرح الملأ علي بن سلطان محمد القاري (ت١٠١٤ه)، ط٢، مطبعة البابي الحلبي (١٣٧٥ه- ١٩٥٥م) :٦٩) (شرح جوهرة التوحيد: ٤٧)(حاشية الباجوري على متن السنوسي (٨٩٥ه)، مطبعة عيسى البابي الحابي وشركاؤه، مصر، بلا تاريخ : ٤٧).

(٣) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٤) ينظر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل: ١/١٢٦) (زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: ٣/ ١٤)

ممن عرفوا نبوءته - صلى الله عليه وسلم - ولم يسلموا، وهذا ينطبق أيضا على كثير ممن رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم -من المشركين ولم يؤمن به ولم يتبعه مع تيقنهم أنه رسول الله ،يقول الله تعالى: ﴿فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[١].

يقول ابن تيمية - رحمه الله - فيما حكاه ابن القيم عنه: (ونحن نقول الإيمان هو التصديق ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المميز دون الانقياد له ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين، وقد قال الله تعالى: {فإنهم لا يكذبونك}، أي يعتقدون أنك صادق {ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}، والجحود لا يكون إلا بعد معرفة الحق، قال تعالى: {وجحدوا بها}[٢][٣].

فخلاصة القول لأهل السنة والجماعة أن التصديق المعهود شرعا هو المقصود بالتصديق، وليس مطلق المعرفة بالله تعالى، فهذه المعرفة المجردة من الإذعان والانقياد والإتباع لم يقل بها إلا الجهمية، وهؤلاء خارج أهل السنة في هذا الأمر، يقول محمد بن نصر المروزي - رحمه الله: (أصل الإيمان هو التصديق وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقا إلا خاضعا ولا خاضعا إلا مصدقا، ومنها تكون الأعمال)[٤]، ويقول أيضا: التصديق والمعرفة يجب

(الدر المنثور، للسيوطي: ٣/ ٣٥٧) (حاشية الباجوري: ٤٤) (حاشية الأمير على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة.

(١) الأنعام: الآية ٣٣.

(٢) النمل الآية ١٤.

(٣) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، (ت٧٥١ه)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم ببيروت، ط١، ١٤١٦ه - ١٩٩٦م): ٤٤).

(٤) تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (٢٩٤هـ)، تحقيق د . عبد الرحمن عبد

أن يصحبهما الانقياد والاستسلام والخضوع، ثم يذكر قول إبليس: {فبعزتك لأغوينهم أجمعين}[١]، وأهل الكتاب: {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم}[٢] وكذلك: {ليكتمون الحق وهم يعلمون}[٣]فهذه شهادة على قلوبهم أنها عارفة عالمة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يوجب لها الإيمان بمعرفتهم وعلمهم بالحق إذا لم يقارن معرفتهم التصديق والخضوع لله تعالى ولرسوله[٤].

فهذا التصديق يجب أن (يكون تصديقا جازما مع الانقياد والإذعان والأتباع والمحبة والمعرفة، فالتصديق الجازم ينافي الكذب والشك، والانقياد ينافي عدم الخضوع، والإذعان ينافي العناد، والإتباع ينافي الرد، والمحبة تنافي البغض، والمعرفة تنافي الجهل)[٥]. وهذا التفصيل الذي يقول به الأشاعرة هو ما يعبر عنه بعض المتأخرين من حنابلة الجزيرة بشروط لا إله إلا الله[٦]،فمن الواضح أن هذه المفردات المشروطة متوافرة في ثنايا كلام أهل السنة والجماعة .

⊙ **مأخذ أهل السنة على الجهمية في مسمى الإيمان** .

١- قولهم بالمعرفة القلبية المجردة ولم يقولوا بالتصديق المعهود شرعا .

٢- عدم اشتراطهم النطق بالشهادتين لتحقيق الإيمان، وهذا مخالف لما أجمعت عليه

الجبار الريواني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١،(١٤٠٦هـ) ٧١٥/٢.

(١) سورة ص الآية ٨٢.

(٢) البقرة الآية ١٤٦

(٣) البقرة: الآية ١٤٦.

(٤) تعظيم قدر الصلاة ٦٩٦/٢.

(٥) (الإبانة :٨٢) (شرح جوهرة التوحيد: ٥٣) (شرح العقائد النسقية: ١٤٩).

(٦) (وهو قول حنابلة الحجاز ينظر: شرح الطحاوية، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ: ٣٠١).

الأمة، سواء من جعل النطق شطر الإيمان أو شرطا له[١].

٣- إهمالهم للعمل بل وتعطيله بالكلية، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة الذين جعلوا العمل ملازما للتصديق وثمرة له .

٤- اعتقادهم بكمال الإيمان لصاحب المعرفة المجردة مهما كان له من عمل، ولو أتى بكل الكبائر وهجر كل الفرائض .

⊙ **أضرار الجهمية على الأمة** .

لا شك أن فكر الجهمية في باب مسمى الإيمان له أخطر النتائج والتبعات على المجتمع الإسلامي بل وعلى المجتمع الإنساني كله، فمما يبنى على منهجهم هذا :

١- تعطيل للشريعة بالكامل لاسيما آيات وأحاديث الأحكام، وهذا التعطيل هو مسخ للدين وإزالة لوجوده، بل هو تعطيل لكل الشرائع والقوانين الإنسانية .

٢- تكذيب القرآن والسنة القاطعة بهلاك الكافرين لاسيما أكابر المجرمين والمفسدين، وهؤلاء لا يخلون عن المعرفة القلبية المجردة بحق أنبيائهم، فهم إذا ناجون على مذهب الجهمية .

٣- تدمير المجتمع وإنزالهإلى أدنى مستوى إنساني، فحين يتساوى المصلح مع المفسد بالمنزلة تتحطم كل القيم الأخلاقية والإنسانية، فينحدر المجتمع الى الحضيض، فتعطيل جانب الخير والفضيلة في حياة المجتمع والقبول بالرذيلة والفجور هو نهاية المقصود من السقوط الحضاري .

٤- المساوات بين كل الديانات السماوية وغيرها من الديانات الأرضية، وما تولد منها من مذاهب مختلفة، بغض النظر عما تحمله من حق أو باطل، وهذا فيه قتل لكل

(١) (شرح الفقه الأكبر: ١٢٦) (المحلى: ٤٥/١) (الإيمان: ٢٨٧) (شرح صحيح مسلم :١٤٩/١) (فتح الباري: ١١٠/١).

خصائص الدين الحق .

٥- الجهمية تعتبر من أخطر الأفكار الهدامة للحضارة الإنسانية، فهي تحصر مفهوم الحضارة الإنسانية في جوانب نظرية فقط، وتعطل قيم الحياة الضابطة لحركة الحياة.

* * *

المبحث الثالث

الشفاعة وأثرها في الحياة الدنيا

لا شك أن صحة المناهج الدنيوية تعتمد أساسا على ما تقدمه هذه المناهج من برامج حياتية واقعية، وعلى مدى توفيقها في إدارة شؤون الحياة وبناء حضارة الإنسان، ونشر الفضيلة والعدل والمساواة بين الناس. وكمال هذه المناهج عندما تستطيع أن ترتقي بربط حضارة الإنسان بنور السماء، فتجمع بين خيري الدنيا والآخرة، وهذا مافعلته شرائع الله تعالى المنزلة على الأنبياء والمرسلين، ولاسيما الديانة الخاتمة، التي ختم الله بها رسالاته للبشر، فدين الإسلام الخاتم الذي رضيه الله تعالى لعباده: {**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**}، هو منهاج رباني لبناء حضارة الإنسان الكامل، ومن أسرار هذا المنهج العظيمأنه قد استوعب كل التجارب الإنسانية التاريخية والحديثة، فامتزجت به بعلم الله تعالى الأزلي، فشكلت وحدة منهجية متكاملة صالحة لبناء حضارة الإنسان في مراحل نضجه وكماله.

وقد طبقت أحكام هذا الدين في فترات زمنية متكررة، وفي مساحات واسعة، وفي مجتمعات مختلفة، كانت بشهادة المنصفين من مؤرخي التاريخ الإنساني، أنها من أفضل فترات التاريخ الحضاري للإنسان، ولولا بعض الشوائب التي صحبت تلك التجارب لكانت الصورة أزهى وأمثل وأظهر في التاريخ، ومن أخص هذه الشوائب وأخطرها أثرا هو ما كان من بعض التوجهات الغالية، كالخوارج والمرجئة، فما بين التكفير والإرجاء تشوهت مسيرة الأمة، بين مستبيح للأفعال تعطيلا وتجميدا للشريعة ،أو مستبيح للأنفس تكفيرا وتفسيقا

على تهاونها، فما بين التعطيل للعمل أو التكفير به تشوهت التجربة الإسلامية وانكفأت الأمة على نفسها، ومن هنا نرى وجوب التركيز على هذين التوجهين المشوهين المعطلين لشريعة الله تعالى.

وقد تقدم في المطالب السابقة: أن الخوارج والمرجئة المحضة قد تركا أثارا خطيرة على المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال غلو الخوارج في التكفير بترك العمل، وغلو المرجئة في التهوين في العمل وإماتته، وكلا المسلكين يشكلان طرفي الغلو والجفاء في العمل، وقد بينا فيما تقدم ما يترتب على المعتقدين من أضرار جسيمة في الأمة.

فالخوارج باستباحتهم للأمة تكفيرا، وقتلا، وتشريدا، وتنكيلا، قد صبغوا تاريخ الأمة بالعنف والدم والقتل والمجازر، حتى أوقفوا الفتح الإسلامي وأشغلوا الأمة بحروب داخلية لا نهاية لها، وطاردوا الأمراء والعلماء حتى أوقفوا مسيرة الحياة وشلوا كل أركانها، فانهارت هيبة الدولة الإسلامية، واستبيحت الدماء والأعراض والأموال، بل بلغ الأمر أن الخليفة الراشد سيدنا علياً -رضي الله عنه - المبشر بالجنة والمبايع من قبل خيار الصحابة، قد قتل واستبيح دمه الشريف تحت مظلة مسمى الإيمان الذي اعتقدوه، فهو رضي الله عنه: قد كفر عندهم عندما رضي بتحكيم الرجال بدين الله تعالى في القضية المشهورة في حرب صفين، وعندهم أن التحكيم معصية، والمعصية كفر، وذلك لان المعصية قصور بالعمل، والقصور بالعمل هو هدم للإيمان، لأن العمل ركن الإيمان، فالمقصر بالعمل كافر، قد ارتد عن الدين، والمرتد حكمه القتل، فهذا هو تأصيلهم لمسمى الإيمان . ثم أنزلوا هذا الحكم على كل من وافق الخليفة بالتحكيم من صحابة وغيرهم، ولم يسلم من هذه الاستباحةالعامة أحد، بل توسعت لتشمل كل مسلم مذنب تلبس بكبيرة ما، ثم حكموا بتكفير كل المجتمع الإسلامي الموافق لرأي الخليفة، واعتبروا دار مخالفيهم دار حرب، ودارهم دار إيمان، فقاتلوا دولة الخلافة ابتداءً من زمن الخليفة الراشد الرابع - رضي الله عنه - إلى خلفاء بني

أمية وبني العباس- رحمهم الله، وتوالت منهم الخروجات على الأمة واستمرت إلى أواخر القرن الرابع الهجري ولم تتوقف إلا لفترات قصيرة جدا. هذه الموجات الدموية العنيفة قد تركت ظلالها السلبية على الأمة وشلت حركة البناءوالتطور والنضج فيها، وكانت من أخطر معاول الهدم في تاريخ الأمة، هذا من جهة ومن الجهة الأخرى المقابلة تولد تيار الإرجاء الجهمي، كرد فعل لتشنج الخوارج في التكفير، فعطلوا العمل أصلا، اعتقادا منهم أن العمل هو منطلق التكفير الأساسي، فأخرجوه من مسمى الإيمان بالكلية، وقطعوا صلته بالإيمان كليا، ثم توسعوا بغلوهم عندما أصلوا لمعتقدهم بقولهم : كما لا تنفع الطاعة مع الكفر، كذلك لا تضر المعصية مع الإيمان .وأخيرا أستقر الإرجاء الجهمي بقول جهم بن صفوان نفسه: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده، لأن العلم والمعرفة لا يزول بالجحد، فهو مؤمن .وعلى هذا فمن أتى بالمعرفة عندهم لا يضره شيء بعده أبدا، ولو سجد لصنم أو أقر بالتثليث أو تلبس بكل الكفريات ...[١].

هذا باختصار شديد هو أساس التأصيل لهذين المنهجين الغاليين، وقد فصلنا في كلا التوجهين في المطالب السابقة ،وذكرنا بعض ما يُبنى على قولهم من مفاسد ومهالك، ثم بينا الرد المختصر عليهم .

وقد تبين أن عقيدة الشفاعة قطعت السبيل علىالطرفين بشكل كامل، فالطبقة الأولى من المشمولين بالشفاعة وهم بالنص: من أهل الصلاة والصيام والجهاد .. قد دخلوا النار بذنوب اقترفوها، فهؤلاء حجة قاطعة على أهل الإرجاء، فهؤلاء معإيمانهم وصلاتهم وجهادهم عُذبوا بالنار ولولا الشفاعة لطال مكثهم في النار، وهذا واضح أنه قد ضرتهم المعصية رغم تصديقهم والتزامهم بالعمل، وبهذا تبطل حجج أهل الإرجاء جميعا .

(١) (مقالات الإسلاميين ج١ص٢١٤) (الملل والنحل للشهرستاني ج١ص٧٤) (الفصل لابن حزم ج٢ص٢٦٦) (سير أعلام النبلاء ج٦ص٢٧.

أما أصحاب الشفاعة من أهل الطبقة الرابعة وهم المعروفون بعتقاء الرحمن، قد ميزهم الله تعالى بالخاتم، وهم آخر الناس دخولا إلى الجنة، وهم بنص الحديث: دخلوا الجنة بغير عمل عملوه، أو خير فعلوه ، ليس لهم إلا كلمة التوحيد قالوها صدقا، فهؤلاء حجة على الخوارج والمكفرة الذين يكفرون بالكبيرة، فعتقاء الرحمن ليسوا من أهل الطاعات والجُمع والجماعات بالنص، فكيف دخلوا الجنة ؟ والجنة لا يدخلها إلا مؤمن ! فمن دخل الجنة فهو مؤمن بالنص، فهذه شهادة نبوية أن عتقاء الرحمن مؤمنون، وبالتالي فهم مشمولون بكل حقوق المسلمين، وهذا يفند كل احتجاجات الخوارج ويقطع ببطلانها.لهذا نجد أن الخوارج والمرجئة رغم تناقضهما في التأصيل والمعتقد كلاهما ينفي الشفاعة، ويعطل معناها الشرعي، لعلمهم أنها مناقضة لمسلكهم المنحرف .

من هنا نقول أن الشفاعة باب رحمة قد فتح من الغيب، لدفع التطرف والغلو والانحراف الذي مزق الأمة ،وأصابها بالشلل وكبدها أفدح الخسائر البشرية والمعنوية، وهذا الباب الغيبي لم تنقطع الحاجة إليه ولاسيما في زمننا الحالي، فقد تجددت الحاجة الملحة لإعادة التأصيل الدقيق لمسمى الإيمان، وذلك لتجدد الدعوات الجهمية والخارجية المتجددة وفق تأصيلات جديدة مخادعة، لاسيما فكر التكفير المعاصر، فقد تجذرت له جذور وأينعت له ثمار مرة غطت مساحات واسعة من الأمة .

أما الإرجاء: فتمثل واقعا بحال كثير من أفراد الأمة، مازالوا بعيدين عن الحد الأدنى من الالتزام الشرعي، وهي بنفس الوقت معتزة بانتمائها الديني، وكأنها واقعا مكتفية بالنطق أوبمجرد المعرفة بالله، أو بمجرد الولادة من أبوين مسلمين لضمان النجاة في الآخرة، هذا الواقع المنحرف هو ثمرة مرة للإرجاء الجهمي، وهذا الواقع يحتاج إلى جهود جادة للإصلاح وإعادة تشكيل العقل الجمعي للأمة .

أما الفكر الخارجي فقد تمثل اليوم بسيل من التيارات الحركية والدعوية والجهادية، ممن

خرجوا عن تأصيل أهل السنة والجماعة لمسمى الإيمان، ولاسيما في تحديد علاقة العمل بالإيمان، فمن المعلوم أن أهل السنة قالوا: أن العمل شرط كمال للإيمان وهذا معناه أن كمال الإيمان بكمال العمل، وكلما نقص العمل قل الإيمان، فالعلاقة بين العمل والإيمان علاقة طردية، ونقص الإيمان يكون بالمعاصي والكبائر وبترك الطاعات والواجبات، ولكنهم لا يكفرون بالكبيرة إلا إذا استبيحت، ولا يكفرون بترك العمل مع تأكيدهم وحرصهم عليه .

فمن قال: أن العمل ركن للإيمان ، أو شرط صحة له، فقد خالف منهج أهل السنة أولا، ووقع في مطب الخوارج ثانيا، وهذا هو الأصل في تحديد معالم التكفير .

وقد توافقت التيارات ذات النزعة التكفيرية المعاصرة في تبني هذا التأصيل الخارجي وهم لا يشعرون، فقد ألبس عليهم الأمر عندما وجدوا أن الأمة قد بالغت في إهمال العمل الشرعي حتى قاربت أهل الإرجاء واقعا ،فكان رد فعلهم هو التشدد في اشتراط العمل ،فقالوا بشرطيته للصحة وليس للكمال، وهذا معناه أن ترك العمل يوجب بطلان الإيمان، لأن ترك الشرط يوجب بطلان الشيء، كما هو الحال بالضبط عند ترك الركن، فبطلان الإيمان حاصل سواء بترك الركن أو بترك الشرط فالأمر سواء، فهذا هو التأصيل الدقيق والوحيد للتكفير، ولا فرق في هذا التأصيل بين الخوارج الأوائل وبين المتأخرين من دعاة التكفير المعاصر .

ومن المعلوم أن منطلقات التكفير المعاصر، بدأت في ستينيات القرن الماضي، تحت وطأة التعذيب والاضطهاد الذي مورس ضد شباب الحركة الإسلامية في السجون المصرية،

فقد سجلت في هذه الفترة المظلمة أبشع وسائل التعذيب الجسدي والمعنوي، حيث مورست انتهاكات غير مسبوقة طالت أجساد شباب يافع لا سوابق له في العنف أو الجريمة، بل تجاوزت الرجال وطالت حتى النساء الحرائر من أهل الخدور والعفة، فكانت بلا شك

أياما سوداء مظلمة في تاريخ مصر الحديث ،[١] في هذا الجو المظلم الجائر تولدت أوائل منطلقات التكفير عند جماعات صغيرة، سرعان ما انتشرت بين زنازين السجن العسكري، وتفشت بين أفراد الحركة الإسلامية مفردات التكفير والمفاصلة مع الحكومة ،وتحت ضغط التعذيب والجراحات النازفة تولدت جماعات التكفير والهجرة، وقيادات هذه الجماعة كانت أصلا من كوادر الحركة الإسلامية، لكنهم انشقوا عن الخط العام للجماعة .

والحقيقة أن أرضية السجن ودواهيه وحجم المظالم فيه، مهدت لعقول الشباب الخام بقبول أفكار المفاصلة والتكفير للنظام الذي مارس التعذيب والقتل بحقهم، ثم توسعت لتشمل المساندين والساكتين عن هذه الجرائم، ثم توسعت مرة أخرى لتشمل كل من لا يكفر هؤلاء الظلمة، حتى من إخوانهم السجناء من أبناء الحركة الإسلامية ،ولاسيما عندما عرضت الدولة المبايعة لرأس النظام مقابل العفو والبراءة والخروج من السجن، وهنا بدأت سلسلة من الحوارات والمجادلات بين كوادر الجماعة داخل السجن، انتهت بمراجعات فكرية لكثير من كوادر الجماعة، وبعد خروج هذه القيادات من السجن ودخولها في معترك الحياة، أخذت أبعاد هذا الفكر في النمو والتوسع، وتولدت تأصيلات جديدة كانت هي النواة للتكفير المعاصر ،ثم توارثت هذه المفردات الجماعات الجديدة ولاسيما الجماعات ذات النزعة الظاهرية التي خاضت العمل الجهادي، واصطدمت بالقوى الحاكمة في بلدانها، ثم توسعت دائرة التكفير لتشمل كل المتعاملين مع الأنظمة الكفرية، تحت مظلة عقيدة الولاء والبراء، الولاء لله وللمؤمنين، والبراء من الكافرين، لاسيما الأنظمة ذات البعد الديني والطائفي، ثم جاءت قضية الدخول في العمل السياسي في ظل أنظمة حاكمة بغير

(١) التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته، نعمان بن عبد الرزاق السامرائي، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١ ،(١٤٠٤هـ) ص٤٦-٤٨) (قضية تكفير المسلم، سالم بهنساوي، الكويت ،(١٩٨١م، ص٥٣- ٥٥) (ذكرياتي مع جماعة المسلمين) ص١١-٢١.

حكم الله تعالى، وهكذا توسعت مفردات التكفير المعاصر لتشمل منطلقات جديدة لم تطرح في الفكر الخارجي القديم، وهذا تطلب جهودا تأصيلية جديدة لقادة التكفير المعاصر، ومازالت هذه القيادات تقدم حلولا ورؤى لمعالجة مفردات متجددة، في مقابل السكوت والإهمال لمرجعيات العلم الشرعي لهذه المفردات الخطيرة، مما ترك المتابع في حيرة من أمره ،فغالبية التأصيل المنشور في وسائل النشر تدعم الفكر الخارجي الجديد، وتدعوا له، وهذا شكل مصدرا دائما لتوليد جمهور كبير من المتأثرين بهذا الفكر.

من هنا وجدنا أن قضية الشفاعة من أهم الركائز الشرعية الداعمة للفكر المعتدل، وحجيتها في إسكات التكفيربترك العمل من أجل وأدق الحجج الشرعية، لهذا أفردناها في هذا المبحث فإنها صوت صافي ينزل من الغيب عسى أن تسهم في تصحيح مسار الأمة، ودفع تعطيل الإرجاء واستباحة التكفير للأمة .

* * *

المصادر

١- الإبانة عن أصول الديانة ،لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ،(ت ٣٢٤هـ)،تحقيق د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط١ ،(١٣٩٧هـ)

٢- أصول الدين، لأبي منصور عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي (٤٢٩هـ)، مطبعة الدولة، إستنبول، ط١، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م.

٣- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم بن علي المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي ،(ت ٨٤٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٨٧م.

٤- الإيمان الأوسط، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي، السعودية، بلا تاريخ.

٥- الإيمان، لأبي قاسم بن سلام الهروي، (٢٢٤هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بلا تاريخ .

٦- تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٧- التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته، نعمان بن عبد الرزاق السامرائي، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٨- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، (ت٣٧٧هـ). تحقيق: محمد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

٩- جامع أبي الحسن البسيوي، لأبي الحسن بن محمد بن علي العماني البسيوي، من علماء القرن الرابع الهجري، مسقط وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، بلا تاريخ.

١٠-الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (ت ٧٥٩هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ه.

١٢- الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.

١٣- حاشية الأمير على شرح الشيخ الإمام عبد السلام على الجوهرة، لمحمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأمير، (ت١٢٣٢هـ) بلا دار نشر، مصر، ١٨٦٥م.

١٤- حاشية الباجوري على متن السنوسي، (ت ٨٩٥هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، بلا تاريخ .

١٥- حكم تارك الصلاة، لمحمد ناصر الدين الألباني، (ت ١٤٢٠هـ)، دار الجلالين، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ).

١٦- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م).

١٧- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٩٠م.

١٨- الزهد وصفة الزاهدين، لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر ابن درهم،

(٣٤٠هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ،١٤٠٨هـ).

١٩- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي السلمي، (ت٢٧٩ه)، تحقيق أحمد محمد شاكر وأخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ .

٢٠- سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأناؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

٢١- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد ،(ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٣٨٤هـ) .

٢٢- شرح البخاري، لأبي الحسن بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطال (ت٤٤٦ه)، المطبعة الميمنية، مصر، بلا تاريخ .

٢٣- شرح السنة، لأبي محمد الحسيني بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، (ت٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٢٤- شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، (ت٧٧٢٩هـ)، تحقيق: عبد الله المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩١هـ.

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية، شرح عبد العزيز عبد الله الراجحي، دار طيبة، الرياض ١٤٣٠ هـ .

٢٦- شرح العلامة سعد الدين بن مسعود بن عمر التفتازاني، (ت٧٩١هـ) على متن العقائد النسفية للشيخ نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي ،(٥٥٣٧هـ)، الطابع والناشر شركة صحافية عثمانية، مطبعة سي جنبولي طاش جوارنده، ١٣٢٦هـ).

٢٧- شرح الفقه الأكبر للإمام أبي جنيفة النعمان، شرح الملأ علي بن سلطان محمد القاري (ت١٠١٤هـ)، ط٢، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م .

٢٨- شرح جوهرة التوحيد، المسمى إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، لعبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي المصري، (ت١٠٧٨هـ)، وقد شرح منظومة والده (ت١٠٤١هـ) جوهرة التوحيد، ومعه كتاب النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م .

٢٩- شرح صحيح مسلم ،لأبي زكريا محي الدين بن شرف بن مري النووي ،(٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ .

٣٠- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي المعروف بابن الحجر العسقلاني، (٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، (١٩٦٩م)، دار المعرفة ط١ ،(١٣٧٩هـ) .

٣٢- قطف الثمار، للإمام السيوطي ،(٩١١هـ) .

٣٣- لفظ الأليء المتناثرة ،لمحي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي ،(ت١٢٠٥هـ) .

٣٤- مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،(ت٧٢٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ .

٣٥- معالم التنزيل المعروف (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٩٨٧م .

٣٦- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي، (٦٥٦هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، سوريا، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .

٣٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء والتراث العربي، بيروت ط٣، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

٣٨- الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ،ط١، ١٤٠٤هـ .

٣٩- النبراس شرح العقائد، لمولانا محمد عبد العزيز الفرهاوي (ت١٢٣٩هـ)، المكتبة الحبيبية، باكستان، بلا تاريخ .

٤٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لأبي قاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الالكائي (ت ٤٤٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ .

٤١- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري الإندلسي، (ت٤٠٦ه)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بلا تاريخ .

٤٢- المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابي الهمام ،(ت ٨٦١هـ)، مع شرح المسامرة لأبي شريف المقدسي، (ت٩٠٦هـ)، وشرح قاسم بن قطلوبغا، (ت٨٢٩هـ)، وحاشية محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، بلا تاريخ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد .. ففي ختام هذا البحث المختصر، أثبت بعض النتائج التي بدت لي من خلال البحث :

١- أن الشفاعة تتوقف أدلتها أصلا على السمع، فهي من باب السمعيات كما هو معروف، والعقل دوره فيهالا يتجاوز الترتيب والاستنباط مما صح وثبت من النصوص الشرعية.

٢- أحاديث الشفاعة حددت بشكل قطعي:

أ- منْ سيدخل الجنة من حيث العموم، ومنْ سيخلد في النار أبدا .

ب- وأن المؤمن هو المخلد في الجنة، سواء كان من السابقين السابقين أو من عتقاء الرحمن، مرورا بما بينهما من درجات .

ج- عتقاء الرحمن هم آخر الداخلين إلى الجنة، وهم ممنْ نالتهم شفاعة الله تعالى بعد عذابهم الطويل - بل كانوا حمما -، فيمُنُ الله عليهم بشفاعته فيدخلهم الجنة، وهم أصحاب الخاتم ُيعرفون به عند أهل الجنة، وهؤلاء ليس لهم من عمل قط، ولم يعملوا خيرا قط، ليس لهم إلا كلمت التوحيد التامة قالوها بإخلاص .

د- عتقاء الرحمن مؤمنون، وهم يمثلون الحد الأدنى لمعنى المؤمن في الحياة الدنيا، وهذا معناه أنهم معصومون الدم، والعرض، والمال، ولهم كل الحقوق والواجبات .

هـ- عتقاء الرحمن نجاتهم توقفت على النطق بالتوحيد ،والإخلاص فيه، ولم تتوقف على العمل، وهذا يؤصل لمعنى المؤمن في أقل درجاته، وهذا يتوافق مع رأي أهل السنة

القائلين بالتصديق الشرعي لمعنى الإيمان، وهو حجة على الخوارج والمعتزلة والمكفرة في كل عصر، لأنهم جميعا أدخلوا العمل في مسمى الإيمان، وجعلوه الأصل فيه، وهذا هو أصل التكفير، وعليه بُنيت كل مُنطلقاته .

٣- تعطيل العمل والتكفير بتركه، هما جناحا الهدم في الأمة، فالتعطيل المتمثل بالمرجئة الجهمية هو تجميد للشريعة وتكذيبها واقعا، والتكفير هو تشوية للشريعة واستباحة لحامليها، وما بين التعطيل والتكفير ذبحت الأمة الوسط وغُيبت معالمها .

٤- الشفاعة ميزان دقيق من الغيب، فيه كشف وبيان لزيف وغلو الخوارج ومنْ تابعهم، وكذلك كشف وبيان لمسالك الإرجاء الجهمي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❋ ❋ ❋